علم النحو العربي وتطوره

نندانج شريف هداية

جامعة السلطان الشريف قاسم الإسلامية الحكومية رياو، اندونيسيا

asgarcor٧٣@gmail.com

ملخّص

النحو علم يبحث عن قواعد اللغة العربية لمعرفة ضبط الكلمات حسب موقعها في الجمل والغرض من تعلمه للصيانة من الأخطء في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي والكتب الشرعية الأخرى. وحكم تعلمه فرض كفاية اعتمادا على ما كتب في التاريخ أن اول من وضع أساس هذا العلم هو أبو الأسود الدؤلي علبي طالب رضي الله عنه. أما خلفية فكرة تكوين علم النحو علما منظما هو اختلاف العجمين في قراءة النصوص القرآنية والأحاديثية حيث قرأ ماحقة الرفع والنصب والخفض والجزم بل ظهرت الأخطاء الكثيرة قام طائفة متخصصة في تعلم هذا العلم كأنبثة الفعل وميمن الارقان وبعدة يأتي عبدالله بن اسحاق الحضرامي ثم جاء من يكمله الإمام خليل ثم يتطور وصار أكثر تماما في عهد الإمام شيبويه والإمام الكسائي. وبعد هذا العهد افترق النحاة إلى الطائفتين البصريين والكوفيين وبعد العهد الذهبي لهتين الطائفتين ظهر الإمام الأحفش والإمام فرّاء وبعد ظهر علماء النحاة كمحمد بن يزيد المبرّد وأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر السراج ثم الإمام أبي علي حسن بن عبد الغفار الفارسي وعبد الفتاح بن الجنى وعبد القادر الجرجاني ثم الإمام الزركشي وابن الحاجب وابن مالك وابن حيان وابن هشام وابن عقيل. هكذا درَّس العلم وطوّر ودوِّن بشكل مستمرّ حتى الآن.

الكلمات الأساسية : ***النحو، الكوفة والبصرة، أبو اسود الدودي***

أ. مفهوم النحو العربي

يسهل لنا أن نعرف التعريف قبل دراسة الشيء، وهو من تعريف النحو العربي،

أما النحو العربي لغة فهو " الطريق والجهة والقصد "، ومنه نحو العربية، وقد ذكر الأشمونى [١] لهذه الكلمة خمسة معان:

١. القصد، يقال: نحوت نحوك، أى قصدت قصدك.

٢. المثل، نحو: مررت برجل نحوك، اى مثلك.

٣. الجهة، نحو، توجهت نحو البيت، اى جهة البيت.

٤. المقدار، نحو، له عندى نحو ألف، أى مقددار ألف.

٥. القسم، نحو: هذا على أربعة أنحاء، أقسام.

ونقل بعضهم معنى سادسا بمعنى " البعض "، نحو، أكلت نحو السمكة، أى بعضها, و اكثرها معنى "القصد" [٢]

قال إبن فارس "النحو" كلمة تدل على القصد , ونحوت ونحوه, ولذلك سمى نحو الكلام, لأنه يقصد اصول الكلام فيتكلم على حسب ماكان العرب تتكلم به [٣]

أما النحو إصطلاحا فمنها:

١. قال إبن جني بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، و التحقير و التكسير، و الإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها من الفصاحة فينطق بها، و إن لم يكن منهم. وقيل أن النحو "علم منتزع من إسقراء هذه اللغة [٤].

٢. قال إبن خلدون: النحو هو العلم الذي يهدف إلى ضبط الملكة اللسانية باالقوانين المستقراة .

٣. قال الزجاجى: فالنحو علم قياسى، مسبار لأكثر العلوم لايقبل إلا بالبراهين وحجج.

---

[١] الأشمونى (٩٢٩ ه) هو أبو الحسن علي نور الدين محمد عيسى الأشمونى , ولد بقناطر السباع , وتواطن بالقاهرة ,كان مكبا على العلم لا هم إلا العلم و الطاعة , من أشهر المعلفاته النحوية , سرحه على ألفية إبن مالك (متهج السالك إلى ألفية إبن مالك) توفى سنة ٩٢٩ هـ.

[٢] عبدالله أحمد جاد الكريم , *الدرس النحوى في القرن العشرين* , (مكتبة الأداب , القاهرة , ٢٠٠٤) ص.٤٣

[٣] حضر موسى محمد حمود , *النحو والنحاة المدارس والخصائص* , (عاله الكتب , بيروت- لبنان , ٢٠٠٣) ط. ١ ص. ٩ . وانظر في مقاييس اللغة لإبن فارس, ص. ٤٠٣

[٤] عبدالله أحمد جاد الكريم ,*المراجع السابق* , ص. ٤٤. وانظر في الخصائص لإبن جني , ص. ٧٩

٤. قال إبن عصفور[٥] :النحو هو علم استخرجه المتقدمون من إستقراء كلام العرب [٦]

هذه هي التعريفات لهذاالعلم. شوقى ضيف، *المدارس النحوية*، (دار المعارف، مصر، ١٩٧٦

والنحو له أهمية، علم النحو العربي من العلوم التي تصدرت وسبقت العلوم العربية قاطبة، من أجل الدفاع عن القران الكريم، فقد أجمع العلماء على اهمية والحاجة إليه واجبة لمعرفته لكل أبناء العربية, وإن لم يكن عارفا بعلم النحو, فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام, ويختل عليه ما يقصد من المعانى.

قال ثعلب [٧] عن علم النحو: "تعلموا النحو، فإنه أعلى المراتب", ويؤكد عبد القاهر الجرجانى هو إمام البلاغيين على أهمية النحو قائلا: " لايجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إلى النحو, وزيادة على حاجتنا إلى علم النحو , لمعرفة كتاب الله، وسنة رسول الل، فإن النحو ضروري لتناول علم من العلوم العربية، وذلك لأنه لا بد لمن شرح الله صدره لتناول العلم من الة يستعين بها في موارده ومصادره، وذلك معرفة الإعراب الذي يبين به الخطاء من الصواب، ويفهم به كلام الله، و أحكام سنن رسوله "، ثم قال : " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطاء إن كان خطاء إلى النظم, ويدحل تحت هذا الاسم, إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه, أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موعضه, واستعمل في غير ما ينبغى له [٨].

وعن أهمية علم النحو قال أحد الشعراء (علي بحر البسيط) :

" ثم الكلام بلا نحو لمستمع مثل الطعام بلا ملح لمن أكلا "

وكذلك أهمية علم النحو لعلوم الشريعة الإسلامية واللغة، لا شك فإننا نحتاج لإقام الدين إلى القران الكريم، ونحتاج لقراءة القران، كى نفهم ما نتعبد به كما أمرنا، كان العامل الرئيس لوضع علم النحو، فاالنحو هو الذي يميز الفاسد من الصحيح في الكلام، ومن المؤكد أيضا أن العبادات هي جوهر الإسلام وتطبيقاته، فقرأالقران جعلت من العبادات، وبها

[٥] إبن عصفور : هو أبوالحسن على بن مؤمن الإسشيلى , أخذ عن الشلوبين , كان اصبر الناس على العلم والمطالعة , كان إماما عالما باالنحو والصرف واللغة , له مصنفات كثيرة منها : المقرب وشرحه , مختصر المحتسب لإبن جنى , توفى سنة ٦٦٣ ه.

[٦] عبدالله أحمد جاد الكريم , *مراجع السابق* , ص.٤٤ . وانظر المقرب لإبن عصفور, ص. ٤٥.

[٧] ثعلب : أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى أبو العباس , إمام الكوفيين في النحو واللغة , صنف كتبا كثيرا منها: المصون في النحو , إختلاف النحويين , معانى القران , الفصيح , غريب القران , وغيرها , توفى سنة ٢٩١ ه .

[٨] عبدالله احمد جاد الكريم , *المراجع السابق* , ص. ٤٥

يؤدى المسلم عبادته وصلاته، وعن طريقها يكلم الله عبده، وبدون النحو يحـ رم المسلم هذا الشرف وذاك الخير، وعلوم العرربية وشرعية كثيرة قامت حول القران ومن أجله، وكلها يحتاج إلى علم النحو، فبدون النحو لايستطيع العالم أن ينال الفائدة من دراسة هذه العلوم، فمثلا لايستطيع المسلم أن يفسر كلام الله، أو يفهم المراد منه بدون بعلم النحو، وفي ذلك قال المجاهد [٩]: "لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يتكلم في كتاب الله غذا لم يكن عالما بلغات العرب"، ويضاف إلى معرفة المفسر لعلم النحو إلمامه بعلوم الصرف واللغة كما أشار مجاهد وغيره، لأن علم اللغة يمكن به صرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .

ويؤكد الزركشى [١٠] على ذلك بقوله: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، والنظر في التفسير هو بحسب إفراد الألفاظ وتركيبها، أما الإفراد فهي تتعلق بعلوم اللغة والتصريف و الإستقاق، وأما التركيب فهو تتعلق بعلوم النحو والمعانى والبيان والبديع. ويربط الأنبارى بين أصول الفقه وأصول النحو، لأن بينهما من المناسبة ما يخفى، لأن النحو معقول من منقول، كما ان الفقه معقول من منقول، ثم أن أدلة النحو هي التى تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أن أدلة الفقه التى تنوع عنها جملته وتفصيله.

وفي ناحية أخرى من نواحى الترابط بين النحاة وعلماء الفقه، أن النحاة قد أعطوا الحكم النحوى صورا شبلة بالحكم الفقهى مثل قولهم: واجب وممنوع، وحسن وجائز وقبيح ..... إلخ [١١]، كما أثر المباحث الفقهية في النحو العربي عن الحديث والأصول والفرع، فهي من القضيا المحورية في النحو العربي.

بعد ما كتب الباحث من التعريفات السابقات نفهم أن النحو هو علم الذي يبين الكلام الفاسد من الصحيح، وعن طريق النحو يقرأ القران بصورة صحيحة فتفهم معانيه وتستخرج تعاليمه وقيمه وعلومه وكنوزه، فمن لم يعرف النحو لا يتلذذ بخلاوة بديع الكلام.

أما علاقة النحو بالعلوم العربية اللغوية فحدث ولاخرج، فإنه يرتبط بعلوم الأصوات واللهجات والصرف والدلالة، فمعرفة علم النحوأهم من معرفة متن اللغة، وذلك

---

[٩] مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى , مولى بنى محزوم , تابعى , مفسر , من أهل مكة , توفى سنة ١٠٢ ه.

[١٠] ألزركشى : محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشى الموصل الشافعى بدر الدين , عالم بفنون كثيرة كا لحديث والتفسسير , ومن مصنفاته : شرح البخاري , البرهان في علوم القران , وغيرهما , توفى سنة ٧٩٤ ه , وانظر في الدرس النحوى في القرن العشرين لعبدالله أحمد جاد الكريم , ص. ٨٦ .

[١١] محمد عيد , *أصول النحو* , (عالم اكتب , القاهرة , ١٩٨٢) ص. ٦١-٦٢

لأن أكثر الأوضاع باقية في موضوعتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد و المسناد إليه، فإنه تغير باالجملة ولم يبق له أثر، ولذلك كان علم النحو أهم من علم اللغة، إذ بجهله الإخلال با لتفاهم جملة. وعلم النحو هو الأهم المقدم من علوم اللسان العربي، إذا يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ والخبر، ولولاه لجهل اصول الإفادة [١٢] , وهذه الصلة وذاك الترابط بين اللغة و النحو، ويرتبط علم اللغة بالبلاغةلأن العربية وعلومها، وذلك لأن علم النحو هو أول ما ينبغى إتقان معرفته لكل من ينطق باللسان العربي [١٣].

ب. نشأة النحو في القرن الأول

من المعروف أن وضع النحو في الصدر الأول للإسلام، لأن علم النحو ككل قانون تتطلبه الحوادث وتقتضيه الحاجات، ولم يك قبل الإسلام مايحمل العرب على النظر إليه فإنهم في جاهليتهم غنيون عن تعرفه لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها، فيتكلمون في شئونهم دون تعمل فكر، أو رعاية إلى قانون كلامى يخضعون له، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم، ومعلمتهم ببعتهم المخطبة بهم، بهلاتهم بعد الإسلام إذ تأشبوا بالفارس والروم والنبط وقيرهم، فحل بلغتهم [١٤].

بدأت الدراسة النحو أو الصرفية في البصرة الواقعة، مما أدى إلى وجود قوميات مختلفة ذات ألسن متعددة و لغات متباينة، وحين انضوت هذه الأقوام تحت لواء الإسلام كانت بأمس الحاجة إلى تعلم كتاب الدين الجديد، ولهذا حرص المسلمون ومنشورة، وكانوا في المريد يجلسون لسماع الشعراء والخطباء من الإعراب الفصحاء والأساليب السليمة البليغة التي كانت عونا لعلماء العربية في تفسير ايات الكتاب المبين وتوضيح غريب ألفاطه وعميق معانيه، بداية انشغل علماء المسلمين بقرأة القران ومنهم من صب إهتمامه نحو جمع اللغة [١٥]

[١٢] إبن خلدون , *مقدمة العلامة* , (دار الفكر , السقاهرة , ٢٠٠٣) ص. ٥١٣
[١٣] على أبو المكارم , *الظواهر اللغوية في التراث اللغوى* , (مطبعة القاهرة , ١٩٧٨) ص. ٢٣
[١٤] محمد الطنطوى , *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة* , (دار المنار , القاهرة , ١٩٩١) ص.٩
[١٥] حضر موسى محمد حمود , *المراجع السابق* , ص. ١٢

وأما أسباب لوضع النحو العربي فهو حفظ للقران خشية من اللحن الذي يغيير معانيه , فوضع النحو العربي ببواعث محتلفة منها :

١. البواعث الدينية , هو يرجع إلى الحرص لبشديد على أداء نصوص القران الكريم أداء فصيحا سليما إلى ابعد حدود السلامة والفصاحة , وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة , وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة رسولالله صل الله عليه وسلم ,فقد روى بعض الرواية أنه سمع رجلا يلحن في كلامه , فقال : " أرشدوا اخاكم فإنه قد ضل.

٢. ألبواعث الأخرى هي الباعث القومي , يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم إعتزازا شديدا , وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعجم , مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها حرفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية.

٣. ألبواعث الإجتماعية , هي ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحسنت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما , وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.

٤. ألبواعث المتشابكة , التي دفعت دفعا إلى التفكير في وصع النحو , ولا بد أن نضيف إلى ذلك , هو رقى العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموا أعداه للنهوض يرصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنظم الأقيسة انتظاما يهيىء لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الإقتصاء الدقيق للعبارة والتراكيب الفصيحة [١٦].

٥. البواعث الأخري هي البواعث السياسية,كما راه تمام حسن العرب في عصر وضع النحو هو الغالب على مواطن أخرى التي اختلفت لغاتهم ويلزم على لغة الغالب أن تكون لغة غالبة فائقة على لغة المغلوب عليه وعلى طريقة غير مباسرة تصير اللغة المفعولة في المجتمع دال على من تسلطة , تصير لغة المتسلط لغة رسمية تستخدم في الشؤن الحكومة

[١٦] شوقى ضيف , *المدارس النحوية* , (دار المعارف , مصر , ١٩٧٦) ص. ١١-١٢

والتعليمية والفضائية وغيرها من الشؤن الرسمية [١٧] . ويسمى أيضا تلك البواعث بالعامل الدينى وغير دينى من العوامل لوضع علم النحوالعربي .

نشأة النحو أول أمره صغيرا شأن كل كائن , فوضع أبو الأسود الدؤلى منه ما أدركه عقله , ونفذ إليه تفكيره , ثم أقرأه الامام على ما وضعه , وأشار عليه أن تقتفيه , فقام بما عهد إليه خير قيام، ولم يهتد بحث العلماء إلى يقين فيما وضعه أبو الأسود الدؤلى أولا على ما سلف تفصيلا، وكانت هذه النهضة الميمونة بالبصرة التى كان في أهلها ميل بالطبعة إلى الإستفادة من هذا الفن، روى لنا التاريخ أن البصريين هم الذين وضعوه وتعهدوه بالرعاية قرابة قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية الأشمار والأخبار والميل إلى التندر بالطرائف من الملح والنوادر، ثم تكانف الفريقان على استكمال قواعده .

أجمعت الروايات التاريخية على أن العرب قد أحسوا في منتصف القرن الأول الهجرى بخطر يهدد لغتهم، وخاصة حين أمتد هذا الخطر إلى النص القراني، وذلك بسبب شيوع اللحن على ألسنة الأعاجم والموالى، ومنه إلى ألسنة أبناء العربية فكان اللحن سبب النظر في اللغة والبحث فيها عند العرب [١٨] .

كان اللحن أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو فهو عيب لسانى ويقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو ولاسيما الإعراب، كما يقوم أيضا على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم [١٩]. وأما اللحن واثاره الشائنة كان بمشابة الدافع إلى انحراف السليقة وصيانتها من الوقوع في الخطاء وبعد اللحن المحرك الفعال والرئيس في نشأة التفكير في وضع علم النحو.

قد شجل التاريخ أن أبا الأسود الدؤلى (سنة ٦٩ هـ) [٢٠] هو اول من فكر في دفع خطر اللحن عن النص القراني واللغة، وذلك بوضع النقط التي تدل على الضمة والفتحة والكسرة على أواخر الكلمات. ولكن بعض الشكك في نسبة علو النحو إليه في هذا الوقت

---

[١٧] تمام حسان ,

[١٨] أنيس فريحة , *نظريات في اللغة* , (بيروت , دار الكتاب اللبناني , ١٩٧٣) ص. ٥٩

[١٩] تعبير خطاء في اللغة العربية سواء كان ذلك الخطاء خطاء لعدم أستحدام قواعد اللغة السليمة أو تعبيرا عربيا متأثرا في اللغة العجمية أو تعبيرا عجميا يدخل في اللغة العربية , انظر إلى أميل بديع يعقوب ورميشال عاصى , المعجم المفصل في اللغة والأدب , (دار العلم للملايين د.ت) ج . ٢ ص. ١٠٦٢

[٢٠] هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل يعمر بن حليس إبن نفاثة بن عدى بن الديل بن بكر عبد مناه بن كنانة , وكان علوى الرأى وكان رجل أهل البصرة , أنظر إلى محمد أبو الفضل إبرهيم , طبقات النحوية واللغويين , (دار المعارف , القاهرة , ١٩٧٣ ه) ص. ٢١

المبكر في غيبة المادة اللغوية وغيبة العقلى العلمى الذي يقوم على التحليل والتبويب والتصنيف.

أما الروايات التي يبين عن سبب لوضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلى فمنها:

١. قال إبن السلام الجمحى: " اول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها , ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى .
٢. قال أبو حرب بن أبي الأسود: "أول باب رسم أبي من النحو باب التعجب، وقيل : أول رسم باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.
٣. روى أبو القاسم الزجاجى عن أبي الأسود الدؤلى: "دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فرأيته مطرفا مفكرا، فقلت، فيما تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية, فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلى صحيفة فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم ,وفعل، وحرف، فالاسم: ما أنبأ عن المسمى. والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى. والحرف : ما أنبأ معنى ليس باسم وفعل، ثم قال: تتبعه وزاد فيه ما وقع لك، و اعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاث: ظاهر، ومضمر، وشيء لا بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر، قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن، أن، كأن، ولم أذكر لكن، فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها , فقال: بلى هي منها، فزدها عليها، قال أبو الأسود في رثاء عليا رضي الله عنه :

" ألا يا عين ويحك أسعدينا ألا تبكى أمير المؤمنينا " [٢١]

٤. قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى : إن أبا الأسود الدؤلى هو أول من أسس العربية، ونهج سبلها ووضع قياسها, وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون , ووضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم.
٥. من قول إبن السلام: أول من أسس العربية هو أبو الأسود الدؤلى. كما قال المبرد: اول وضع العربية ونقط للمصحف أبو الأسود الدؤلى [٢٢]

[٢١] خضر موسى محمد حمود , *مراجع السابق* , ص . ١٤-١٥.

٦. وقد تقف الروايات في الوضع الأول للنحو عند أبي الأسود، غير أنها تـ عود فتضطرب في السبب الذي جعله يرسمه وفي حاكم البصرة موطنه الذي بعثه على هذا الرسم والأبواب الأولى الذي رسمها فيه، قمن قائل غنه سمع قارئا يقرأ الاية الكريمة: "أن الله برئ من المشركين ورسوله" بكسر اللام في رسوله، فقال: ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا واستأذن زياد بن أبيه والى البصرة (٤٥–٥٣ هـ) وقيل بل استأذن ابنه عبيدالله واليها من بعده (٥٥–٦٤ هـ) في أنيضع للناس رسم العربية . وقيل: بل وفد على زياد، فقال له: إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفأذن لى أن أضع للعرب كلاما يعرفون او يقيمون به كلامهم. وقيل: بل إن رجلا لحن أمام زياد أو أمام ابنه عبيدالله و فطلب زياد أو ابنه منه أن يرسم للناس العربية. وقيل أنه رسمها حين سمع ابنته تقول : "ما أحسنُ السماء" وهي لا تريد الإستفهام وإنما تريد التعجب، فقال لها قولى : "ما أحسنَ السماءَ " [٢٣] .

٧ .إبتدا أبو الأسود المصحف حتى أتى على اخره، بينما كان الكاتب يضع النقط بصيغ يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الايات و وكان هذا الصنيع الخطير الذي سمى باسم رسم العربية سببا في أن يختلط الأمر فيما يعد على الرواة فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو وشيئا من أبوابه، وهو إنما رسم أعراب القران الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه.

ويبين لنا أيضا من رواية تاريخية إلى أن أول من اهتم بوضع النحو هو الإمام علي بن أبي طالب، كما قيل لأبي الأسود الدؤلى: من أين لك هذا العلم ؟ يعون النحو، فقال: لقنت حدوده من علي بن ابي طالب رضي الله عنه [٢٤] .

هذان رأيان نحو واضع النحو، الرأى الذى يقول أن واضع النحو هو الإمام علي بن أبي طالب، و الرأى الذى يقول أن واضع النحو هو أبا الأسود الدؤلى كلاهما صحيح، لأن وضع النحو لأبي الأسود الدؤلى بعد رضائى علي بن أبي طالب، ورأى الباحث أن الإمام على بن أبي طالب هامية في وضع النحو، والوضع الحقيقى هو أبو الأسود الدؤلى،

[٢٢] أبو بكر الزبيدى , *طبقات النحويين واللغويين* , (دار المعارف , القاهرة , د.ت) ص . ٢١
[٢٣] شوقى ضيف , *المراجع السابق* , ص . ١٤-١٥
[٢٤] أبى خلكان , *وافيات الأعيان* , (دار المعارف , القاهرة , د.ت) ص . ٥٣٧

كاد الرواة التى تتفقون على أن أبا الأسود الدؤلى قام بعمل من هذا النمط، وهو إبتكر بشكل المصحف.

إستمر شغل العلماء النحاة بعد أبي الأسود الدؤلى، مثل يحى بن يعمر، وعنبسة بن معدان وهو عنبسة الفيل، وميمون بن الأقران، وغيره. ويروى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال: "إختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلى يتعلمون فيه العربية، فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهرى و اختلف الناس إلى عنبسة، فكان أبرع أصحابه ميمون الأقران. ثم أتى الاخرون من العلماء النحاة، حتى يضخ النحو على يد الخليل بن أحمد الفراهدى واضع أول كتاب نحوى وصل إلينا، وبهذا استطاع الخليل أن يقدم العربية نموذجا لوصف العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا (العين) .

ج. تطور النحو في عصر الخليل بن أحمد الفراهيدى

هذا التطور من تطور النشوء والنمو وهو من عهد الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى، وأبى جعفر محمد ابن الحسن الرؤاسى إلى أول عصر المازنى البصرى وإبن السكيت الكوفى، فهذا التطور مبدأ الاشتراك بين البلدين في النهوض بهذا الفن والمناقسة في الظفر بشرفه، فقد تلقت فيه الطبقة الثالثة البصرية برياسة الخليل، والأولى الكوفية بزعامة الرؤاسى، وكذا بعدهما طبقتان من كل من البلدين، فوثب هذا الفن وثبة بها حيي حياة قوية أبدية بعد [٢٥].

ونقصد الآن بالنحو معناه العام الذى يثمل مباحث الصرف، لأن مباحث الرجال الطور الماضى كانت منصرفة أواخر الكلمات كما عرف عنهم برجال هذا الطور فإنهم قد اتجهت أنظاهرهم إلى مراعاة أحوال الابنية أيضا، فقد راعهم ما اعتورعها من خطأ يجب درؤه. وذلك أنهم ما حاولوا صون الكلام من غوائل اللحن فى أطرافه إلا ضنا به ألا ينهض بالإفادة والاستفادة المقصودتين منه، ورعاية أواخر الكلمات بقوانين النحو إن كفلت دفع اللحن عن الكلام. وأصلحت هيكلة الصورى للتأدية العامة، فإن تلك التأدية لا تتم به إلا إذا سلمت جواهر أجزائه التى يتقوم بها، وما تأخرت ملاحظتها لهذا الحين إلا لقلة

[٢٥] محمد الطنطوى، *المرجع السابق*، ص.٤٠

العثرات فيها بالإضافة إلى العثرات التى كانت تعترض الكلام فى أواخر أجزائه ، ولأن الخطأ فيها لا يذهب بالمعنى المقصود للمتكلم كالخطأ فى أواخر الكلمات كما لمست هذا فى سبب وضع النحو [٢٦].

فمن هذا الحين ظهرت مباحث الصرففى طى كتب النحو وثغلت منها فراغا وعم الأمرين اسم النحو، ولا ريب أن للصرف من بين سائر علوم اللغة العربية قرابته الدنيا بالنحو على أن الخليل بن أحمد الفراهيدى وهو غرة جبين هذا التطور قد جمع بين اللغة والنحو فإنه ذكر فى كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى الذى هو الأسس لكتب اللغة فيما نعلم مقدارا كبيرا من النحو.

ابتدأ هذا التطور، وأخذ العلماء فى كتب النحو ومباحثه سمتا آخر غير ماتجهوا غليه فى الماضى على ماعرفت، ونشطوا فى التقصى والاستقراء للمأثور على العربوفى إعمال الفكر واستخراج القواعد، وكان مبعث ذلك النشاط هو التنافسالبلدى الذى عرض ابان هذا التطور ، فرام كل من البصرة والكوفة ظفرا على آخر ، فا الخليل بن أحمد الفراهيدى يعود إلى البصرة ويستجمع كل ما سمع، وبلغ فى ذلك غاية محمودة فاتت كل ما سبقه ، وممن حمل الراية فى البصرة مع الخليل بن أحمد يونس إلا أنه قصر مجهودة على التلقى عنه، ونصب نفسه للإفادة، فكانت له حلقات دراسة يؤمها القاصى والدانى من فصحاء الاعراب وأهل العلم ، وكان فى النحو أقيسة ومذاهب خاصة تفرد بها ، فظهر فيهم العلماء وأنبعثت فيهم فكرة التأليف وكان أول مؤلف تداولوه بينهم كتاب " الفصيل " للرؤاسى، روى ابن النديم وغيره : " وقال الرؤاسى : بعث الخليل بن أحمد إلى يطلب كتابى، فبعث به إليه فقرأ، وكل فى كتاب سيبويه وقال الكوفى كذا فإنما يعنى الرؤاسى [٢٧].

تكون على يد الإمامين : الخليل ومن معه من البصريين، والرؤاسى ومن كل معه من الكوفيين، بكل من البلدين مدرسة خاصة لها علم تنحاز إليه كل فرقة، وتتبعت الطبفات المتعاصرة من كلا البلدين، فسطع فى سماء البصرة نجوم متعلقة تألف منها عقد الطبقة الرابعة بزعامة سيبويه الذى وهب ملكة التصنيف والتنسيق، فأبدأ كتابه على مثال لم يسبق إليه، ولم يدع للمتأخرين استدركا عليه، فالأحفش البصرى شيخ الخامسة يصنف ويذيع على الناس ما

[٢٦] نفس المرجع، ص.٤١

[٢٧] ترجمة الرؤاسى ، ومعجم الأدباء، ص. ١٢٢

أوتيه من علم، ومعاصره الفراء الكوفى أستاذ الثالثة تغمره عطايا المأمون وتحفزه إلى نشر العلم وتتيح له أن يدون طوال الكتب التى رجت فى بغداد والكوفة [٢٨].

كل ذلك بفضل المناظرة التى بدات هدئة أول الأمر بين البلدين على يد الخليل والرؤاسى، ثم اشتدت على مرور الأيام وكان له أثرها الفعال، إذ كانت وقودا لإشغال نار الاجتهاد والدأب على استكمال ما بقى من مواد هذا الفن، فحمى وطيسها فى غضون هذا التطور واندلع لهيبها إلى نهاية التطيور الثالث فصلى بنارها كثير من جلة البصريين وقليل من الكوفيين، وسنذكر لمحة عنها إن شاء الله تعالى بعد إنمام الكلام على هذين التطورين (البصريين والكوفيين)، وكثرت فيه المؤلفات التى أزيل منها ما ليس من فن النحو، وإن كان التصريف ما لبث مندسا فيه عند البصريين ، فإن كتاب سيبويه وهو البقية الباقية بأيدينا من مؤلفات هذا التطور والمرآة التى تتكشف بها صورة التأليف فيه قد جمع بين الفنين.

ولقد بهر العلماء أمر هذا الكتاب، إذ قصرت هممهم عن مطاولته حينا من الدهر فلم يروا إلا الطواف حوله تعليقاعليه فى النواحى المختلفة شرحا واحتصارا وانتقادا واستدراكا وردا وإعرابا للشواهد، وكان لذلك أثره فى استبقاء الفنين معا بحثا وتصنيفا مدة مديدة عند كثير من العلماء الذين انتضوا للتأليف فى كتبهم الخاصة بعد فاحتذوا حذوا سيبويه ومزجوا بينهما، وأما الكوفيون فقد أفوا فى بعض أبواب الصرف كتبا خاصا اعتناء بشأنه، لكن لم تصل تأليفهم إلى حد يجعل ال صرف منفردا من النحو بالتأليف، صنف الرؤاسى كتاب التصغير, والكسائى كتاب المصادر، والفراء كتاب فعل وأفعل، ومع هذا فإن النحو قد طفق يتخلص من الصرف، ويستقبل الصرف بالتأليف فى مستحل التطور الآتى على ما سترى [٢٩].

لا يسع عند الحديث عن سيبويه نتاجه النحوى أو سيره بالتطور في النحو عما كان عند استاذه الخليل بن أحمد الفراهدى، لأن الخليل شرع وفكر وأسس والفارسى نقل وسجل وأوصل وتابع واستفاد على النحو العربي كما قال طلال علامة فيما يلى:

[٢٨] محمد الطنطوى، المرجع السابق، ص.٤٥

[٢٩] نفس المرجع، ص.٤٦

١. عمل سيبويه متمم لعمل الخليل بن أحمد الفراهدى وإن ظهر أتم من هذا العمل وأما قيمة التطور معه فهي كون (الكتاب) أول أثر نثر محيط بالمادة وصلنا، والبناء النحوى قد استوى مع سيبويه كاملا أو قريبا من الكمال .
٢. عمل سيبويه جاز بالنحو من الممارسات الضيقة مع المستجدات إلى تهيئ.
٣. بناء نحوي وهذا يسر التعامل مع علم محيط بالمادة.
٤. التطور مع سيبويه وعمله أن هذا العلم تمكن من استيعاب ما مر قبله من آراء مباهيم نحوية عند البصريين.
٥. من التطور مع سيبويه استكمال نظرية التعليل التي بدأت مع الخليل في النحو والصرف.
٦. من التطور مع سيبويه استكمال نظرية العامل التى انطلقت مع الخليل وهذا دفعه إلى دعم القياس وتعميمه.
٧. من التطور معه عند عمله بالقياس تسجيله لما خالف قواعده التي بناها على الشائع المنتسر على ألسنة العرب.
٨. من التطور معه استكماله وضع المصطلاحات النحوية التي بدأت مع الخليل بن أحمد الفراهيدى.
٩. من التطور معه استكماله وضع الاحتمالات النحوية الأمر الذي حدا به إلى التوسع في وضع التمارين في النحو.
١٠. من التطور معه (ظهر الكتاب) بعد الحاجة إليه والحاجة إلى كتاب الجامع مانع لاتعني أنه ظهر من دون مقدمات بصورة مفاجأة لأنه ليس سوى نضع متأخر لآراء مقدمة ولمباحث قديمة.
١١. من التطور معه استيعاب الكتاب لما مر مما يسر للمتأخرين الطلاع على مباحث الأقدمين التي نضجت مع الخليل بن أحمد الفراهيدى [٣٠].

بالبيان السابق تبين لنا أن هذا التطور من تطور النشو والنمو وهو من عصر الخليل بن أحمد الفراهيدى بعد تطور الوضع والتكوين وهو فى عصر أبى الأسواد الدؤالى إلى

[٣٠] طلال علامة ، *تطور النحو العربي فى مدرستى البصرة والكوفة* (دار الفكر اللبنانى، ١٩٩٣) ص.١٢٠-١٢١

أول عصر الخليل بن أحمد الفراهيدى وهو من أحد النحاة فى البصرة و كثير من أقواله قد نقل بتلميذه سيبويه الذى صنفه " الكتاب "ويسمى بقرآن النحو".

د. تطور النحو في عصر سيبويه

اشتهر بلقبه سيبويه , وهو لقب أعجمى يدل على أصله الفارسى، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، من موالى بنى الحارث بن كعب، ولد بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء، وفيها تلقن دروسه الأولى، وطمحت نفسه للاستزادة من الثقافة الدينية، فقدم البصرة وهو لايزال غلاما ناشئا، والتحق بحلقات الفقهاء والمحدثين، ولزم حلقة حماد بن سلامة ابن دينار المحدث المشهور حينئد , وحدث أن لفته إلى أنه يلحن في نطقه ببعض الأحاديث النبوية , فصمم على التزود أكبر زاد بشئون اللغة والنحو , ولزم حلقات النحويين واللغويين وفي مقدمتهم عيس بن عمر والأخفش الكبير ويونس ابن حبيب , واختص بالخليل بن أحمد الفراهدى , وأخذ منه كل ما عنده فى الدراسات النحوية والصرفية ، مستمليا ومدونا ، واتبع في ذلك طريقتين طريقة الاستملاء العادية ، وطر يقة السؤال والاستفسار ، مع كتابة كل اجابة وكل راى يدلى به وكل شاهد يرويه عن العرب ، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية [٣١].

فكما أخذ عن الخليل أخذ عن يونس وعن عيس بن عمر وغير هم وبرع فى النحو حتى بذ أترابه فيه , فاحتفى به علماء البصرة التى صار إمامها غير مدافع , وأخرج للناس كتابه الكى أكسبه فخار الأبد , فإنه شا هد صدق على علو كعبه فى هذ الفن.[٣٢]

ومن الو اضح أن سيبو يه لم يكن له الفضل الأكبر فى تأليف الكتب بل اخذ معطمه عن أستاذه الخليل بن أحمد الفراهدي. وعامة الحكاية في سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهدي. فكلما قال سيبويه (سألته) أو قال(قال) من غير أن يذ كر قائله فهو الخليل بن أحمد الفراهدى [٣٣] .

وكان سيبويه ونحاة البصرة يهدرون ما يجرى على لسان عرب الحطمة لما دخل على سلائقهم من ضعف بسبب إقامتهم في الحاضرة , بل لقد كانوا يهدرون ما جاء على ألسنة بعض البدو من لغات شادة لا تجرى مع القياس المستنبط من كثرة ما يدور على ألسنة

[٣١] شوقي ضيف , *المراجع السابق* , ص . ٥٧
[٣٢] محمد الطنطاوى , *المر اجع السا بق* , ص. ٤٥
[٣٣] عبده الراجحى , *دروس في المذاهب النحوية* , (دار النهضة العربية , بيروت , ١٩٨٠) ص . ١٢

الفصحاء , ولا بد أن سيبويه شرح ذلك في حواره ومناظرته مع الكسائى , وإن كان الرواة للحادثة لم يدونوه [٣٤] .

لم يعهد الدرس النحوى مؤلفا قبل كتاب سيبويه , فقد مان النحاة والعرب يطبقون قواعد النحو ويتدارسونها شفاهية , أو في مؤلفات لم تتخصص في دراسة قواعد النحو بل ضمن دراسات لغوية أخرى , ويعتبر كتاب سيبويه عمل حداثى بالنسبة للدرس النحو في هذا المضمر في حينه , لأنه عمل غير مسبوق في منهجه ودرسه , وإن وردت إشارات عن كتاب الجامع والإكمال لعيسى بن عمر , ولكن أمثال هذه المؤلفات لم تصل إلينا .

وقد جمع سيبويه في كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء و كأبي الخطاب الأحفش (الأحفش الأكبر) , وأستاذه الخليل بن أحمد الفراهدى، وأبي زيد عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم في علم النحو والصرف والأصوات وبخاصة علم النحو والصرف، إذ كان النحو في ذلك الحين يطلق عليهما واسمه يعمهما، فكان كتاب سيبويه سجلا لآراء الخليل، في النحو , ولذا كثيرا ما يقرل فيه سألت الخليل، وذلك مستفيض في الكتاب.

لا يسع عند الحديث عن سيبويه نتاجه النحوى أو سيره بالتطور في النحو عما كان عند استاذه الخليل بن أحمد الفراهدى، لأن الخليل شرع وفكر وأسس والفارسى نقل وسجل وأوصل وتابع واستفاد وعليه نستطيع القول: [٣٥]

١. عمل سيبويه متمم لعمل الخليل بن أحمد الفراهدى وإن ظهر أتم من هذا العمل وأما قيمة التطور معه فهي كون (الكتاب) أول أثر نثر محيط بالمادة وصلنا
٢. البناء النحوى قد استوى مع سيبويه كاملا أو قريبا من الكمال
٣. عمل سيبويه جاز بالنحو من الممارسات الضيقة مع المستجدات إلى تهيء بناء نحوي وهذا يسر التعامل مع علم محيط بالمادة
٤. التطور مع سيبويه وعمله أن هذا العلم تمكن من استيعاب ما مر قبله من آراء مباهيم نحوية عند البصريين

[٣٤] شوقي ضيف , *المراجع السابق* , ص . ٥٩
[٣٥] ظلال علامة , *تطور النحو العربي* , ص . ١٠٢-١٠٣

٥. من التطور مع سيبويه استكمال نظرية التعليل التي بدأت مع الخليل في النحو والصرف
٦. من التطور مع سيبويه استكمال نظرية العامل التى انطلقت مع الخليل وهذا دفعه إلى دعم القياس وتعميمه
٧. من التطور معه عند عمله بالقياس تسجيله لما خالف قواعده التي بناها على الشائع المنتسر على ألسنة العرب
٨. من التطور معه استكماله وضع المصطلاحات النحوية التي بدأت مع الخليل
٩. من التطور معه استكماله وضع الاحتمالات النحوية الأمر الذي حدا به إلى التوسع في وضع التمارين في النحو
١٠. من التطور معه (ظهر الكتاب) بعد الحاجة إليه والحاجة إلى كتاب الجامع مانع لاتعني أنه ظهر من دون مقدمات بصورة مفاجأة لأنه ليس سوى نضع متأخر لآراء مقدمة ولمباحث قديمة
١١. من التطور معه استيعاب الكتاب لما مر مما يسر للمتأخرين الطلاع على مباحث الأقدمين التي نضجت مع الخليل
١٢. من المؤكد أن سيبويه بدأ تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل , إذا نراه في بعض المواضع يعقب على ذكره لاسمه بكلمة" رحمه الله ".وقد حمله عنه تلميذه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وأذاعه في الناس باسم " الكتاب " علما اختص به هذا المصنف وحده دون بقيه المصنفاتفي عصره بحيث كان يقال في البصرة "قرأ فلان الكتاب " فيعلم أنه كتاب سيبويه دون شك، وظل هذا الاسم خاصا به، دلالة على روعة بأليف وإحكامه، ونرى كثيرين من النحاة وغيرهم ينوهون به تنويها عظيما منها : [٣٦]

١. قال أبي عثمان المازني تلميذ الأخفش: من أرد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحى.
٢. قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك (الزيات وزير المعتصم) ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له:

[٣٦] شوقي ضيف , *المراجع السابق* , ص. ٠٩-٦٣

أردت أن أهدى إليك شيئا، ففكرت، فأذا كل عندك فلم أشرف من هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفراء، فقال ابن عبد المالك:" والله ماأهديت إلى شيئا أحب إلى منه "

٣. قال أبو الطيب اللغوى فيه وفي كتابه: "هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قران النحو".

٤. قال السيرقى : " وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أخذ قبله، ولم يلحق به من بعده".

٥. قال المبرد : " لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه".

منذ ألف سيبويه الكتاب مافارقه النحو وما تخلف هو عنه بل يقيمان معا ويرحلان معا فطوف معه وانتقل من البصرة إلى الكوفة ثم بغداد ثم الأندلوس ومصر ويذكر أن الاندلوسيين اليهود وغيرهم قد تأثروا بكتاب سيبويه في إحياء قواعد اللغة العربية .وقد توفر عدد كبير من العلماء القدامى على شرح (الكتاب) وتعليمه أشهرهم ابو سعيد السيراقي ثم المبرد وعلي بن سليمان الأخفش و ابن السراج والزمخشري وابن مضاء وغيرهم.

المراجع

أنيس فريحة , *نظريات في اللغة*, (بيروت , دار الكتاب اللبناني , ١٩٧٣

أبي خلكان , *وافيات الأعيان* , (دار المعارف , القاهرة , د.ت

أبو بكر الزبيدى، *طبقات النحويين واللغويين*، (دار المعارف، القاهرة، د.ت

إبن خلدون , *مقدمة العلامة*، (دار الفكر , السقاهرة، ٢٠٠٣

حضر موسى محمد حمود، *النحو والنحاة المدارس والخصائص*، (عاله الكتب، بيروت– لبنان، ٢٠٠٣

شوقى ضيف، *المدارس النحوية*، (دار المعارف، مصر، ١٩٧٦

عبده الراجحى، *دروس في المذاهب النحوية*ن (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠ عبده الراجحى، *دروس في المذاهب النحوية*، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠

عبدالله أحمد جاد الكريم، *الدرس النحوى في القرن العشرين*، (مكتبة الأداب، القاهرة، ٢٠٠٤

على أبو المكارم، *الظواهر اللغوية في التراث اللغوى*، (مطبعة القاهرة , ١٩٧٨

محمد عيد، *أصول النحو*، (عالم اكتب، القاهرة , ١٩٨٢)

محمد الطنطوى , *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة* , (دار المنار , القاهرة , ١٩٩١)

مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى، مولى بنى مخزوم، تابعى، مفسر، من أهل مكة، توفى سنة ١٠٢ هـ